دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	جيوبوليتيكا الأمن القومي العربي
المصدر:	المجلة العربية للعلوم السياسية
الناشر:	الجمعية العربية للعلوم السياسية
المؤلف الرئيسي:	البرصان، أحمد سليم
المجلد/العدد:	ع 15
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2007
الشهر:	يوليو
الصفحات:	117 - 126
رقم MD:	460824
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	EcoLink
مواضيع:	أوربا ، الأمن القومي العربي ، العالم العربي، الموقع الجغرافي ، السياسة الدولية ، الولايات المتحدة الامريكية ، النظام العالمي الجديد
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/460824

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

جيوبوليتيكـــا الأمـــن القومـــي العربـــي

أحمد سليم البرصان

أستاذ العلاقات الدولية المشارك،

جامعة الحسين بن طلال، معان ـ الأردن.

مقدمـــة

يحتل الوطن العربي موقعاً جغرافياً متميزاً، وكان هذا الموقع الجيو ــ استراتيجي نقطة جذب للإمبراطوريات للسيطرة عليه للتحكم في العالم. إن الوطن العربي يتوسط العالم القديم، كما إنه مع اكتشاف العالم الجديد حافظ على أهميته الاستراتيجية. وكما وصف جمال حمدان مصر بـ «عبقرية الزمان والمكان»، فإن هذا الوصف قد ينطبق على مجمل الوطن العربي، كونه وحدةً جغرافية وسياسية متكاملة من المغرب إلى المشرق. وحتّى في ظلّ الإمبراطوريات الحديثة، كانت السيطرة على الوطن العربي وسيلة لتعزيز قوة الإمبراطوريات المتنافسة، فعندما أراد نابليون بونابرت إضعاف الإمبراطورية البريطانية، توجه إلى المنطقة العربية بحملته المشهورة على مصر والشام. وعندما وقفت روسيا القيصرية والإمبراطورية البريطانية ضده، كان بسبب مصالحهما لأنهما ضدّ سيطرته على منطقة جغرافية مهمة استراتيجياً.

ونلاحظ في الوقت نفسه أن هذه المنطقة، عندما كانت موحّدة سياسياً شكلت قوة عالمية وإقليمية، جعلت الدول الغربية تعمل على أن لا تعود هذه المنطقة العربية موحّدة سياسياً، وإنما كانتونات سياسية.

هدف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى أن تنظر إلى الأمن القومي العربي من جانب الجيوبوليتيكا والنظريات الجيوبوليتيكية، وفي ضوء التطورات السياسية في المنطقة، والاستفادة من البعد الجيوبوليتيكي عندما قاومت الحملات الاستعمارية.

منهجية الدراسة

تعتمد الدراسة على المنهج الجيوبوليتيكي في تفسير الاستراتيجية الغربية نحو الوطن العربي، ومحاولة السيطرة عليه، وتستفيد من المنهج التاريخي في فهم كيفية التعامل العربي مع هذه الهجمات الاستعمارية الغربية، وكيفية هزيمة هذه الحملات الغربية الإمبريالية.

فرضية الدراسة

تقوم الدراسة على فرضية أن هناك منطقة ارتكاز جغرافي في المنطقة العربية، وإن تراجع هذه النقطة أو السيطرة عليها أو تحييدها من قبل القوى الاستعمارية يضعف الوطن العربي ويهدد أمنه القومي، وإن نهوض الارتكاز الجغرافي العربي، وما يسمّى بـ «القلب العربي»، في كتلة سياسية كانت السبيل لنجاح المقاومة للمشروع الاستعماري الغربي، والارتكاز الجغرافي العربي، هو مصر والقلب هو العراق. ومن خلال المقاربة التاريخية يمكن فهم محاولات السيطرة على الارتكاز والقلب.

أولاً: الشرق الأوسط والسيطرة على أوروبا

قال رينهولد نيبور (Reinhold Niebuhr) (١٨٩٢ ــ ١٩٧١) أحد أشهر رواد النظرية الواقعية في العلاقات الدولية في القرن العشرين: «إن الذي يسيطر على الشرق الأوسط يسيطر على أوروبا» (Who Ever Controls the Middle East also Controls Europe)[١].

ونقل الكاتب الفرنسي ماريوس بلتييه (Marius Peltier) عن زعيم الثورة البلشفية فلاديمير لينين قوله «إن الطريق إلى باريس تمر عبر المغرب» (The Road to Paris Goes through the Maghreb)[٢]، ويقصد المغرب العربي، ويظهر أن قول لينين قد ارتبط بثورة الريف التي قادها عبد الكريم الخطابي ضدّ الإسبان في منطقة الريف، وأهمية المغرب العربي الاستراتيجية في التنافس بين القوى الأوروبية وضد الاستعمار الفرنسي التي يعتبرها أستاذ الجيوبوليتيكا الأمريكي المعاصر، سول كوهن (Saul Cohn)[٣] البوابة الخلفية لأوروبا وهذا يفسر القلق الأوروبي من التطورات السياسية على بوابته الخلفية.

إن مفهوم الشرق الأوسط في الدوائر الغربية سواء في بريطانيا أو الولايات المتحدة في ما بعد، ارتبط بآسيا العربية ومصر وليبيا، إضافة إلى بلاد فارس، إيران حالياً وإلى حدّ ما في بعض الأحيان تركيا عندما يراد لتركيا أن تؤدي دوراً في الشرق الأوسط كما هي حال حلف بغداد.

ويذكرنا الآن أستاذ النزاعات الدولية الأمريكي مايكل كلير (Michael Klaire) في مقالة له بعد احتلال الولايات المتحدة للعراق «أن الحرب أوضحت أن نقطة الارتكاز المركزية للتنافس الدولي هي منطقة جنوب ووسط آسيا، أي من أفغانستان والجمهوريات الآسيوية

(١) Reinhold Niebuhr, «Power and Ideology in National and International,» in: William Fox, ed., *Theoretical Aspects of International Affairs* (Notre Dame, Ind.: University of Notre Dame Press, 1959), p. 116.

(٢) Marius Peltier, «The Suez Canal and the Indian Ocean in Africa and Defence of the West,» *Le Monde moderne* (Paris) (1975).

(٣) Saul Bernard Cohen, *Geopolitics of the World System*, Regional Geographies for a New Era (Lanham: Rowman and Littlefield Publishers, 2003), pp. 149-183.

الإسلامية حتّى العراق»[٤] الذي اعتبره وليم هاملتون أستاذ التاريخ الأمريكي «قلب الشرق الأوسط» (The Heart Land of the Middle East)[٥].

ويتساءل هاملتون «هل احتلال هذا القلب هو السبب الاستراتيجي الرئيسي للغزو؟» ويجيب عن تساؤله بنفسه، إن احتلال العراق يمثل أهمية استراتيجية كبرى للولايات المتحدة.

ثانياً: هالفورد ماكندر ونقطة الارتكاز الجغرافي

يعتبر الجغرافي البريطاني هالفورد ماكندر (Halford Mackinder) أوّل من نبه إلى أهمية نقطة الارتكاز الجغرافي (The Geographical Pivot of History) في محاضرته في الجمعية الجغرافية الملكية البريطانية في كانون الثاني/يناير ١٩٠٤[٦]. لقد وضع إصبعه على شرق أوروبا نقطة الارتكاز الجغرافي والتي أطلق عليها عام ١٩١٩ قلب اليابس في أوراسيا التي كان الاتحاد السوفياتي يسيطر عليها، وطرح نظريته المشهورة التي أثرت في الفكر الاستراتيجي في أوروبا وأمريكا خلال القرن العشرين وحتّى الآن «من يسيطر على شرق أوروبا يسيطر على قلب اليابس ومن يسيطر على قلب اليابس يسيطر على جزيرة العالم ومن يسيطر على جزيرة العالم يسيطر على العالم»[٧] ويقصد ماكندر بجزيرة العالم القديم آسيا وأوروبا وأفريقيا، ولقد فهم نابليون أهمية قلب اليابس قبل ماكندر عندما توجه إلى روسيا وكذلك تأثر قيصر ألمانيا وليم الثاني وهتلر وموسليني بأهمية قلب اليابس للسيطرة على أوروبا والعالم.

وقد طرح نيقولاي سبيكمان نظرية حافة اليابسة (Rimland) والتي اعتبر من يسيطر عليها يسيطر على أوراسيا وبالتالي يسيطر على العالم، ونلاحظ أن حافة اليابس هي الهلال الداخلي عند ماكندر وهي الهلال أو قوس الأزمات عند بريجنسكي وهي العالم العربي الإسلامي. وتسمية الولايات المتحدة الشرق الأوسط الكبير الذي لا يزال يشكل السيطرة علية نقطة السيطرة على العالم كما يؤكّد الاستراتيجيون الغربيون من ماكندر حتّى بريجنسكي مستشار كارتر للأمن القومي الأمريكي، وبول وولفويتز مهندس احتلال العراق ونائب وزير الدفاع الأمريكي الأسبق ومدير البنك الدولي الحالي.

---

(٤) Michael Klare «The New Geopolitics,» *Nation* (19 June 2003), p. 51.

(٥) William Hamilton, «The Importance of Being There,» Central View (31 May 2004), <http:// www.central-view.com/past.asp?number = 1160 > .

(٦) Halford J. Mackinder, *Democratic Ideals and Reality: A Study in the Politics of Reconstruction*, [edited by and] with a new introduction by Stephen V. Mladineo (Washington, DC: National Defense University Press, [1996]), pp. 175-193.

(٧) Christopher J. Fettweis, «Sir Halford Mackinder, Geopolitics, and Policymaking in the 21st Century,» *Parameters* (Summer 2000), pp. 58-71.

ثالثاً: العراق نقطة الارتكاز الجغرافي أم قلب اليابس؟

يقول وليم هاملتون أن الاستراتيجيين في وزارة الدفاع الأمريكية وفي مجلس الأمن القومي الأمريكي، قد تأثروا بنظرية ماكندر، فالعراق عندهم قلب المنطقة العربية الأسيوية[٨]، وبحسب رأيه يعني احتلال العراق: السيطرة على البترول، وأن تعين أي حكومة تريدها لتتحكم في خطوط المواصلات الاستراتيجية وتطل على الخليج العربي وتتحكم في الهلال الخصيب، وتصبح المنطقة بحسب رأي هاملتون تحت الهيمنة الأمريكية من القاهرة حتّى إسلام آباد، أي أن تكون المنطقة تحت مظلة السلام الأمريكي (Pax Americana).

رابعاً: مصر والهلال الخصيب (نقطة الارتكاز وقلب اليابس)

إن احتلال العراق لا يخرج عن نطاق قول نيبور، إن من يسيطر على الشرق الأوسط يسيطر على أوروبا، ولكن من الناحية التاريخية إن نقطة الارتكاز الجغرافي العربي إذا أخذنا مفهوم ماكندر هي مصر في الشرق الأوسط، ولذلك كان يتردد في الدوائر الأمريكية، لا حرب من دون مصر، في حالة الصراع العربي الإسرائيلي، ولذلك كان الهدف الاستراتيجي الإسرائيلي عند مناحيم بيغن في كامب ديفيد هو إخراج مصر من معادلة الصراع العسكري بين العرب وإسرائيل في الشرق الأوسط. ولقد أخطأ العرب آنذاك في عزل مصر لأنهم وقعوا في الفخ الإسرائيلي.

وإذا أخذنا التاريخ الحديث والمعاصر فإن نابليون عندما قام بحملة على مصر والشام ١٧٩٨ ــ ١٨٠١ كان يريد إضعاف الإمبراطورية البريطانية من خلال قطع اتصالها مع الهند درة التاج البريطاني وكانت عبقرية المكان المصري في ذهن نابليون، وبعدها تنبهت بريطانيا إلى أهمية مصر الاستراتيجية للسيطرة على الشرق الأوسط[٩].

ونجد أن محمد علي باشا في مصر تنبه إلى أهمية جيوبوليتيكا نقطة الارتكاز الجغرافي (Pivot Area) من خلال حملته على الجزيرة العربية (١٨١١ ــ ١٨١٨) وحملته على اليمن ١٨١٩ والسودان ١٨٢٠ ثمّ دوره في إخماد الثورة اليونانية ضدّ الدولة العثمانية عام ١٨٢٤ ومساندته السلطان العثماني، فقد كانت مصر نقطة الارتكاز الجغرافي للدولة العثمانية في ما يسمّى بـ «الشرق الأوسط حالياً»[١٠].

إن زحف محمد علي باشا من نقطة الارتكاز الجغرافي إلى قلب الشرق الأوسط،

---

(٨) Hamilton, «The Importance of Being There».

(٩) ياسين سويد، «البعد الاستراتيجي لحملة محمد علي على بلاد الشام،» **الفكر الاستراتيجي العربي**، السنة ١، العدد ٣ (كانون الثاني/يناير ١٩٨٢)، ص ٢٢٧ ــ ٢٤١.

(١٠) المصدر نفسه.

الهلال الخصيب، أقلق الدول الأوروبية التي وقفت ضده عندما زحف على الأستانة، لأن الزحف المصري من الشام يعني تهديد أوروبا إذا سيطر على آسيا الصغرى، تركيا. ولقد استطاعت الدولة العثمانية في فترات ازدهارها أن تسيطر على ثلث القارة الأوروبية، ولم تصل إلى هذا الغزو الكبير إلا بعد أن سيطرت على الهلال الخصيب ومصر.

إن فرض معاهدة لندن (تموز/يوليو ١٨٤٠) على محمد علي باشا وإنهاء الدور المصري في بلاد الشام يؤكّد النظرة الاستراتيجية الغربية لأهمية ارتباط نقطة الارتكاز الجغرافي مع قلب الشرق الأوسط الذي يهدد أوروبا.

ولبيان أهمية العلاقة بين مصر «الارتكاز الجغرافي العربي» والعراق «قلب اليابس» العربي الآسيوي، فإن صلاح الدين الأيوبي قد خرج من العراق ولكنه انطلق لتحرير المقدسات من مصر عندما استطاع فهم الأهمية الاستراتيجية لنقطة الارتكاز، فتحرّك لتوحيد القلب والشام والعراق ثمّ اتجه نحو الجزيرة العربية ونسج خيوط العلاقات التاريخية مع المغرب العربي.

قد تكون رؤية صلاح الدين الأيوبي لنقطة الارتكاز الجغرافي ولقلب الشرق الأوسط ماثلة في الأذهان الأوروبية وبخاصة لدى صانعي القرار في السياسية الخارجية الغربية، ولأهمية خطر نقطة الارتكاز الجغرافي. ومن هنا نجد أن رئيس وزراء بريطانيا بالمرستون يكتب في مذكرة له إلى سفيره في الآستانة عام ١٨٤٠ يشرح أهمية وجود اليهود في فلسطين من أجل احتواء خطر نقطة الارتكاز الجغرافي مصر «محمد علي» من خلال دورها في الهلال الخصيب: «إن عودة الشعب اليهودي إلى فلسطين بدعوة من السلطان وتحت حمايته يشكل سداً ذريعاً في وجه مخططات شريرة يعدها محمد علي أو من يخلفه»[١١].

إن رسالة بالمرستون إلى السفير البريطاني في القسطنطينية تدخل في باب الاستراتيجية البعيدة المدى (Grand Strategy Planning)، نظرة بعيدة المدى إلى المستقبل، وكيف يمكن أن تشكل القوة العقائدية لنقطة الارتكاز الجغرافي إذا تحرّكت خطراً على المصالح البريطانية التي أخفاها تحت ستار خطر الارتكاز الجغرافي على الآستانة.

إن محمد علي باشا كان مسلماً ألبانياً وكان في مصر والياً عثمانياً له طموحاته عندما بنى مصر سواء من خلال تحديد رؤية إسلامية أو قومية. ونلاحظ أن البارون اليهودي روتشيلد يكتب في عام ١٨٤٠ في خطابه إلى رئيس الوزراء البريطاني السابق الذكر يبين خطر نقطة الارتكاز الجغرافي ويربطها بالبعد القومي العربي ويبين أهمية وجود دولة يهودية من أجل احتواء خطر نقطة الارتكاز الجغرافي العربي على أوروبا والغرب، فيقول «إن هزيمة محمد علي وحصر نفوذه في مصر ليسا كافيين لأن هناك قوة جذب بين العرب. وهم يدركون أن عودة مجدهم القديم مرهون بإمكانيات اتصالهم واتحادهم، إننا لو نظرنا إلى خريطة هذه البقعة من الأرض، فسوف نجد أن فلسطين هي الجسر الذي يوصل بين

(١١) المصدر نفسه.

مصر والعرب في آسيا، وكانت فلسطين دائماً بوابة الشرق، والحل الوحيد هو زرع قوة مختلفة على هذا الجسر في هذه البوابة، لتكون هذه القوة بمثابة حاجز يمنع الخطر العربي ويحول دونه، وإن الهجرة اليهودية إلى فلسطين تستطيع أن تقوم بهذا الدور، وليست تلك خدمة لليهود يعودون بها إلى أرض الميعاد مصداقاً للعهد القديم ولكنها أيضاً خدمة للإمبراطورية البريطانية ومخططاتها، فليس مما يخدم الإمبراطورية أن تتكرر تجربة محمد علي سواء بقيام دولة قوية في مصر أو بقيام الاتصال بين مصر والعرب الآخرين»[١٢].

إن قول روتشيلد قبل قرن تقريباً من قيام إسرائيل ينم عن وعي استراتيجي بالمنطقة العربية وبدور مصر والعرب في آسيا أي الهلال الخصيب والجزيرة العربية، فهو يطرح خطر قوة مصر سواء أكانت قوة عقدية أم قوة مادية ثمّ خطر الاتصال المصري مع الهلال الخصيب وكأنه يعيدنا إلى قراءة صلاح الدين الأيوبي واستراتيجية جمع مصر والشام والجزيرة أو يعيدنا إلى السلطان المملوكي قطز في معركة عين جالوت لذا يرى روتشيلد أن ما تحقق في ما بعد ولا يزال مستمراً هو عزل نقطة الارتكاز الجغرافي العربي عن القلب العربي الآسيوي.

خامساً: نقطة الارتكاز الجغرافي والقلب والأيديولوجيا

إن دور نقطة الارتكاز مع قلب الشرق الأوسط ارتبط بالأيديولوجيا، فقد كانت الفكرة الرابطة من صلاح الدين أو قطز رابطة دينية وكذلك كانت في عهد محمد علي باشا رابطة توحيد أيديولوجي قومي أو ديني، ولكن نلاحظ أيضاً أن نقطة الارتكاز الجغرافي كانت لها أهمية ودور مؤثر في القرن العشرين، دور عدم الانحياز ودعم حركات التحرر الأفريقية ثمّ القومية العربية؛ كانت مصر نقطة ارتكاز جغرافي أعطتها دوراً رائداً على مستوى العالم الثالث، وأحد أعمدة دول عدم الانحياز التي أكسبتها أهمية استراتيجية في نظر القوى العظمى، وكانت حملة العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ على مصر من خلال رؤية خطر دور نقطة الارتكاز الجغرافي في الجزائر ودعم الثورة الجزائرية أو الوقوف ضدّ مخططات بريطانيا في منطقة قلب الشرق الأوسط، حلف بغداد، ودعم حركات التحرر في منطقة الجزيرة العربية وأفريقيا. وعندما قامت الوحدة بين مصر والشام (١٩٥٨ ــ ١٩٦١) استنفرت القوى الغربية الأوروبية والأمريكية وإسرائيل لمواجهة خطر هذه الوحدة بخاصة لارتباطها بالمد القومي وهي تدلّ على وعي استراتيجي قد يكون أكثر من وعي النخبة السياسة العربية ومبنياً على التجربة الألمانية والإيطالية عندما قامت الوحدة في كليهما وهددت ألمانيا أوروبا بالسيطرة عليها بعد أن كانت الولايات الجرمانية ممزقة، فقادت بروسيا حملة الوحدة الألمانية.

وإذا نظرنا إلى حرب ١٩٦٧ وبغض النظر عما قيل حولها، فهي تخطيط استراتيجي

(١٢) المصدر نفسه.

لإحباط دور نقطة الارتكاز الجغرافي العربي لإضعافه وإبعاده عن نطاقه العربي الآسيوي أو الجناح الغربي الأفريقي[١٣].

سادساً: هنري كيسنجر ونقطة الارتكاز الجغرافي العربي وإيران

أعاد هنري كيسنجر الاعتبار للجيوبوليتيكا الألمانية بعد أن حلت عليها النقمة بأنها سبب الحرب العالمية الثانية، ويعتبر كيسنجر بحق الجنرال هوسهوفر الأمريكي وكان متأثراً بمترنيخ النمسا وزير خارجية النمسا وسياسته في مؤتمر فيينا ١٨١٥ وسياسة توازن القوى، ولذا عندما تولى منصب مستشار الرئيس الأمريكي للأمن القومي في عهد نيكسون ثمّ وزيراً للخارجية الأمريكية، وضع نصب عينه إخراج الولايات المتحدة من مستنقع فييتنام ثمّ فتح قنوات دبلوماسية مع الصين الشعبية والتركيز على استراتيجية توازن القوى لمواجهة الاتحاد السوفياتي.

وكان نيكسون وبإيعاز من هنري كيسنجر قد تبنى استراتيجية للحرب بالوكالة (Proxy Forces). وبحسب مبدأ نيكسون وفي الشرق الأوسط اعتبر إيران شرطي الخليج العربي في عهد الشاه[١٤]، ولكن بحسه الجيوبوليتيكي كان ينظر إلى نقطة الارتكاز الجغرافي العربي «أرض الكنانة»، فقد كانت سياسة مصر قائمة على عدم الانحياز وأقرب إلى الاتحاد السوفياتي في التعاون السياسي وبخاصة بعد حرب ١٩٦٧، ولذلك كان الهدف الاستراتيجي لكيسنجر إبعاد نقطة الارتكاز عن الاتحاد السوفياتي ثمّ جرها إلى الجانب الغربي، فكانت سياسة الخطوة خطوة وخروج السوفيات قبيل حرب تشرين الأول/أكتوبر ١٩٧٣ نقطة البداية في الاستراتيجية الإسرائيلية الأمريكية في احتواء خطر نقطة الارتكاز الجغرافي على إسرائيل باعتبارها أكبر قوة عربية ــ وتاريخها في جميع الفترات التاريخية يثبت ذلك ــ وهذا ما تحقق في ما بعد. تراجع الدور العربي بعد مصر دولياً وإقليمياً وفي عدم الانحياز وفي منظمة الوحدة الأفريقية بعد أن كانت مركز ثقل عدم الانحياز وأفريقيا.

أما بالنسبة إلى القلب العربي ــ كما سماه هاملتون كما ذكرنا سابقاً ــ فإن القلب العربي الآسيوي كان قد وقف ضدّ اجتياح الثورة الإيرانية منطقة الخليج العربي، فقد استطاع العراق سواء بقرار سياسي داخلي مستقل أم بإيعاز من إدارة كارتر أن يدخل الحرب لاحتواء الثورة الإيرانية وتأثيراتها. وعلى الرغم من الإنفاق العسكري للدول البترولية فإنها لولا قوة القلب لم تستطع أن توقف الزحف الثوري الذي كان في عنفوانه، ولكن بعد نهاية الحرب العراقية الإيرانية ١٩٨٨ كان هو الخطر المتمثل الذي سوف يهدد

(١٣) أحمد البرصان، **اسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية وحرب حزيران/يونيو ١٩٦٧**، دراسات استراتيجية؛ ٤٠ (أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ٢٠٠٠).

(١٤) Charles A. Kupchan, *The Persian Gulf and the West: The Dilemmas of Security* (Boston, MA: Allen and Unwin, 1987), pp. 31-40.

المصالح الإسرائيلية والأمريكية وهذا ما صدر في تقرير عن مركز الدراسات الاستراتيجية التابع لوزارة الدفاع الأمريكية قبيل غزو الكويت بعنوان «Iraqi Power and U. S. Security in the Middle East» وكان لا بدّ من القفز إلى القلب بعد احتواء نقطة الارتكاز الجغرافي، ونشهد الآن تفتيت القلب وإنهاء فكرة القومية من القاموس السياسي العربي بحل حزب البعث والجيش العراقيين وطمس الهوية العربية وهذا تماماً ما اتفق عليه في استراتيجية إسرائيل في الثمانينيّات ١٩٨٢ ثمّ التقرير الاستراتيجي الذي تمّ تقديمه عام ١٩٩٦ إلى نتنياهو تحت عنوان «استراتيجية إسرائيل عام ٢٠٠٠»[١٥].

إن التقرير الأول حول استراتيجية إسرائيل ١٩٨٢ يؤكّد طرحه تقسيم المنطقة العربية إلى كانتونات سياسية وعلى رأسها العراق إلى ثلاث دويلات، أما تقرير ١٩٩٦ فإنه يؤكّد صراحة إنهاء فكرة القومية العربية باعتبارها خطراً على التوازن الإقليمي وعلى مستقبل إسرائيل، وكما كانت فكرة القومية قوة وراء بروز عبد الناصر وشعبيته في الوطن العربي والدور القيادي لنقطة الارتكاز الجغرافي فانه لا بدّ من الانتهاء كلياً من هذه الفكرة في منطقة القلب العربي الإسلامي.

سابعاً: مستقبل النظام العربي

شهدت المنطقة العربية تراجع التيار القومي وتأكيد دور القطرية، فالدولة التي تعاني من الشرعية السياسية بسبب عدم وجود جذور تاريخية تعطيها الشرعية السياسية حاولت الأنظمة أن تجعل من القطرية وسيلة لشرعية النظام الحاكم بعد غياب دور الارتكاز الجغرافي.

والمشكلة الرئيسة أن القطرية لم تحقق الأمن القومي العربي ولا حتّى الأمن للدولة القطرية نفسها، بل إن بعض الدول القطرية الصغيرة وجدت في التحالف مع القوى الغربية وسيلة من أجل حماية نفسها في ظلّ غياب الشرعية والتهديد الداخلي والإقليمي لها، ولكن هذا التحالف أدى إلى حالة الابتزاز للدولة القطرية الصغيرة فأصبحت القطرية والتحالف مع القوى الكبرى مكلفة اقتصادياً وسياسياً وحتّى استراتيجياً للدولة القطرية، وهي تواجه الآن أزمة شرعية داخلية وتحدي الأنظمة الحاكمة في وقت كانت هذه الدول متحالفة في السابق مع الأصولية الإسلامية.

ونلاحظ في ظلّ المد القومي أن الدول القطرية البترولية تحالفت مع التيارات الإسلامية للوقوف ضدّ دولة الارتكاز الجغرافي وأيديولوجيتها القومية وتهدد الدول القطرية التي تحالف قوى الاستعمار؛ كان خطاب عبد الناصر يثير الشارع العربي وترتجف زعامات

(١٥) أحمد سليم البرصان، «اللوبي الصهيوني والاستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط،» **السياسة الدولية**، العدد ١٥٠ (تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٢)، ص ٦٠ ــ ٦٩، و Stephen C. Pelletiere, Douglas V. Johnson II and Leif R. Rosenberger, *Iraqi Power and U.S. Security in the Middle East* (Carlisle Barracks, PA: Strategic Studies Institute, U.S. Army War College, 1990).

قطرية منه، وحتّى في غياب القومية وفشل القطرية والتحالف مع القوى الاستعمارية، نلاحظ انفصام السلام بين الأنظمة الحاكمة في الدول القطرية البترولية والأصولية والإسلامية.

إن مستقبل النظام الإقليمي العربي وأمنه ودوره العالمي مرتبط بالأمور التالية:

١ ــ إن الوطن العربي يملك طاقات بشرية وموارد اقتصادية وموقعاً استراتيجياً تجعله يؤدي دوراً فعالاً في النظام الدولي في حال استغلال هذه الطاقات والموارد.

٢ ــ أهمية أن تعي دولة الارتكاز الجغرافي دورها القومي، وإنها بالأيدلوجية القومية والدينية تستطيع أن تستقطب الجماهير العربية في كلّ مكان كما كانت في فترات تاريخية سابقة.

٣ ــ أن تعي دولة الارتكاز الجغرافي أن استراتيجية إسرائيل الإقليمية والدول الكبرى تعي خطورة عبقرية المكان وتحاول احتواء دوره، وكما قال الأستاذ محمد حسنين هيكل: «إن إسرائيل بما تقوم به في المنطقة وعلى نطاقها المباشر أو الأوسع لم تعد بعيدة عن ذلك الحلم الذي تصوره مؤسس دولتها ديفيد بن غوريون وهو حلم يسعى إلى حصر مصر وراء حدودها مع إطلاق يدّ إسرائيل في الشرق العربي»[١٦].

٤ ــ أن تعي الدولة القطرية الصغيرة وبخاصة البترولية منها خطورة القوى الأجنبية على وجودها على المدى المتوسط والبعيد وأن ارتباطها بالارتكاز الجغرافي هو الذي يمكن أن تحقق من خلاله أمنها وهويتها وأن الاعتماد على دولة قطرية إقليمية تربطها بها عوامل الدين واللغة والتاريخ أفضل من القوى الأجنبية التي لها تطلعاتها الحضارية والسياسية والاستراتيجية.

٥ ــ تأكيد أهمية وحدة دولة القلب وهي العراق وعروبتها وإسلامها وخروج المحتل منها.

٦ ــ لا بدّ أن تقدّم الدول البترولية الدعم والمساعدة إلى دولة الارتكاز الجغرافي والقلب الأسيوي؛ إن محور الارتكاز الجغرافي والقلب هو الذي أعاد الاعتبار لهذه المنطقة عبر التاريخ والذي هزم القوى الأجنبية الطامعة من الغزو الصليبي والمغولي. إن عائدات الدول البترولية العربية لعام ٢٠٠٥ بلغت ٥٠٠ مليار دولار، عائدات المملكة العربية السعودية للعام نفسه ١٠٠ مليار دولار، وإن حجم الودائع العربية في سويسرا ونيويورك تريليون دولار كما أوردته صحيفة **الحياة** عن رئيس وزراء ماليزيا السابق مهاتير محمد[١٧].

٧ ــ إن الولايات المتحدة متورطة في أكثر من بقعة على نطاق العالم وليست مستعدة للتورط في القلب كما تؤكد الدراسات الاستراتيجية الأمريكية إذا تفاقمت الأوضاع أو

(١٦) انظر محاضرة محمد حسنين هيكل، «المستقبل الآن،» التي ألقيت في الجامعة الأمريكية في القاهرة بتاريخ ١٩ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٢، ونشرت في: **العربي**، ٢٠٠٢/١٠/٢٠.

(١٧) **الحياة**، ٢٠٠٤/٦/٢٥.

استمرت على نطاقها الحالي، مع انحدار شعبية الرئيس بوش لأقل مستوى خلال رئاسته بسبب تفاقم الخسائر في العراق والأزمات الداخلية والفشل في مواجهة الكوارث الطبيعية مثل إعصار كاترينا وفضيحة رئيس طاقم موظفي نائب الرئيس ديك تشيني، لويس سكوتر ليبي والتي تشبه فضيحة ووترغيت[١٨]. إن الولايات المتحدة تبحث عن وسيلة للخروج من المستنقع العراقي تحت شعار التصويت على الدستور والمصالحة وتحرّك الجامعة العربية، وقد تنسحب وتترك القوى القطرية تواجه التحديات الداخلية وقد تتخلى عنها وتفاوض قوى المعارضة، وهذا ما حدث فعلاً في حوار بين بعض التيارات الإسلامية مع بعض المسؤولين السابقين من الأمريكيين والبريطانيين تحت غطاء أكاديمي أشرف عليه منتدى حلّ الصراعات الذي أسسه ويديره رجل الاستخبارات البريطاني السابق أليستير كروك بالتعاون مع الدكتور بيفرلي ميلتون أدواردز من جامعة كوينز في بلفاست، وقد علق مسؤول أمريكي سابق مشارك في الحوار «كم من إرهابي سابق وطأت قدماه البيت الأبيض»[١٩].

لقد علمنا تاريخ أوروبا قول تشرشل في الحرب العالمية الثانية عندما تحالف مع ستالين ضدّ هتلر: «إنّني أتحالف مع الشيطان ضدّ هتلر». وفي حالة التهديد المستمر للمصالح الأمريكية والغربية فقد يصل الغرب إلى نتيجة تتفق مع السياق التاريخي عبر العصور وهو التحالف مع الطرف القوي الذي يثبت قدرته على التحدي والوجود حتى وإن اختلف معه.

والخلاصة، إن إعادة فعالية النظام العربي المتدهور وأمنه في النظام الدولي مرتبطة باستقراء التاريخ، وكما ذكرنا ماكيندر في أوروبا وجزيرة العالم، فالوطن العربي قد يكون قوة محركة للتاريخ إذا أخذنا قراءة التاريخ، بأن الارتكاز الجغرافي والقلب الأسيوي العربي هما مفتاح السيطرة على الشرق الأوسط ومن يسيطر عليهما يستطيع أن يتحكم في الشرق الأوسط الكبير وبالتالي يسيطر على جزيرة العالم، العالم القديم، وبالتالي يفرض وجوده على النظام الدولي ■

(١٨) Anthony H. Cordesman, *The Developing Iraqi Insurgency: Status at End-2004* (Washington, DC: Center for Strategic and International Studies (CSIS), 2004).

(١٩) «شخصيات أمريكية مقربة من دوائر صنع القرار تلتقي حماس في بيروت،» **القدس العربي**، ٢٤/٣/ ٢٠٠٥، ص ٥.